# المقاربات الجديدة للصوفية في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر

**فؤاد جدو**

**جامعة**

**محمد خيضر بسكرة**

**الملخص:**

لقد كان للصوفية دور بالغ الأهمية على مختلف الأصعدة والأزمنة ولا نقصد هنا الشعوذة والصور الدخيلة على الصوفية الحقيقة، والجزائر تعتبر من أهم الدول التي لها خصوصية في مجال التصوف الإسلامي وهذا ما نلمسه من خلال عدد الزوايا والطرق الصوفية التي توجد فيها بل ولها أتباع في إفريقيا والعديد من الدول العربية والإسلامية الاخري، ولا يخفي على إن الإسلام دين متكامل فهو لم يترك مجال من مجالات الحياة إلا وقد بين فيها سبل التعامل فيها والأحكام المرتبطة بها ومنها مجال التنمية والسلم لما لهما من اثر على حياة الإنسان الذي يعتبر المحور الأساسي لهذا العالم، فنجد أن للصوفية امتداد بشكل آخر إلي للأهداف التي يرمي إليها الإسلام ولكن ما أريد توضيحه هنا هو استغلال هذه المدارس والزوايا الصوفية في مجال التمنية وبناء أسس سليمة للسلم وكذا خلق بعد استراتيجي امني وسياسي من خلال هذه المدارس الصوفية في الجزائر.

لهذا لان للجزائر خصوصية جيوسياسية فهي تقع في منطقة شمال إفريقيا وتتوسط دول المغربي العربي وكذا هي بوابة إفريقيا والساحل الإفريقي ولها خطوط تماس حدودية مع دول افريقية كمالي والنيجر وهنا عنصر مهم وهو الامتداد القبلي للعديد من القبائل في الجزائر في الدول العربية سواء توارق

أو غيرهم والأهم من ذلك وجود ابتاع الطرق الصوفية الموجودة في الجزائر في العديد منن الدول العربية والإسلامية والإفريقية مما يجعل من الجزائر مرجعية روحية لهؤلاء الأتباع، كل هذه العناصر لها من الأهمية البالغة التي تدفع إلي أن تستغلها الجزائر في بناء عنصر من عناصر التنمية وإرساء قواعد السلم وتحقيق بعد امني استراتيجي لها.

ومن أهم الطرق نجد التيجانية والتي يوجد مقرها العالمي بالجزائر ولها أتباع في القارات الخمس يتجاوز عددهم 400 مليون وكذا الطريقة القادرية بورقلة والبلقائدية بوهران وغيرها من الطرق الصوفية الاخري.

و لهذا لابد من الاعتماد على مقاربات جديدة في بناء تصور واضح للصوفية في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال ثلاث عناصر أساسية وهي:

– التنمية الاجتماعية في إطار مواجهة التحديات والمخاطر الاجتماعية ضمن مقاربات حديثة.

– طرح بدائل اقتصادية في إطار العملية تكاملية مع المؤسسات الاخري.

– المحافظة على الهوية الوطنية أساس لمنطلق الاستقرار الذي يعتبر عمود التنمية

و هذا ما سنتطرق إليه في المداخلة بشكل تفصيلي .

ملاحظة: ملخص المداخلة بالفرنسية في اخر المداخلة بعد قائمة المراجع

**Resumé**

Sofia a eu un rôle très important à différents niveaux et les heures ne signifient pas ici, la sorcellerie et des images exotiques soufi vérité, et de l'Algérie est l'un des pays les plus importants qui ont la vie privée dans le domaine de la mystique musulmane, ce qui est visible à travers un certain nombre d'angles, les confréries soufi où Et même ses adeptes en Afrique et dans de nombreux pays arabes et islamiques d'autres, et ne cache pas que l'islam est une religion de l'intégration, il ne laisse aucun espace de vie, cependant, la manière dont il a traité et des dispositions connexes, y compris le développement et la paix pour eux L'impact sur la vie humaine, qui est l'objectif principal de ce monde, nous constatons que le soufi le long d'un autre des objectifs est de l'islam, mais ce que je tiens à préciser ici est l'exploitation de ces angles et les écoles soufi dans le domaine Altmanip et de construire les bases de la paix et le son ainsi que de créer dimension stratégique Politique et de sécurité par le biais de l'école soufie en Algérie.

En raison de la géopolitique de l'Algérie est situé dans le coeur de l'Afrique du Nord et les pays du Maghreb arabe et l'Afrique ainsi que la porte d'embarquement et de la côte africaine et de ses

frontières les lignes de front avec les pays africains, le Niger et le luxe élément important ici est l'extension de la plupart des clans tribaux en Algérie dans les États Si Twarq arabes ou d'autres, plus important, et j'ai acheté un confréries soufi en Algérie en Menen de nombreux pays arabes, islamiques et africains Algérie, qui fait référence à ces disciples spirituels, tous ces éléments sont de la plus haute importance accordée à être exploités par l'Algérie dans la construction d'une Composante du développement et de l'instauration de la paix et la réalisation de la sécurité stratégique après.
L'un des moyens les plus importants pour nous trouver Brown, qui a son siège social mondial à Alger et de ses adeptes dans les cinq continents, plus de 400 millions de dollars, ainsi que Altarekah Borklp Albalkaidip Bohran, et d'autres méthodes d'autres mysticisme.

Et doivent donc compter sur de nouvelles approches pour la construction d'une vision claire de la mystique dans le domaine du développement économique et social par le biais de trois éléments clés, à savoir:
- Le développement social dans le contexte des défis et des risques sociaux dans les approches modernes

- Avancer des alternatives dans le processus d'intégration économique avec d'autres institutions.

- Pour maintenir l'identité nationale de la base de la stabilité, qui est pilier du développement
Et c'est ce que nous allons aborder dans l'intervention en détail

**مقدمة**

لقد لعبت المدارس الصوفية دور مهم كبيرا عبر مختلف الفترات الزمنية التي عرفتها الجزائر قبل الاستعمار وأثناءه دفاعا على الهوية الوطنية من التفسخ الفرنسي الذي حاول طمس الشخصية الجزائرية وكذا تقوية لحمة الشعب الجزائري، غير أن التغيرات التي عرفتها الجزائر والعالم ككل اثر بشكل كبير على هذا الدور الذي كانت تلعبه المدارس الصوفية، ليس هذا وحسب بل حتى على طبيعة العلاقات الدولية خاصة بعد نهاية الحرب البادرة وتفكك الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم في إطار

محاولة نمذجة العالم وفق منظور غربي يقوم على أسس الديمقراطية الغربية الليبرالية التي تحكمها جملة من القواعد وعلى رأسها حقوق الإنسان.

فكما اشرنا أن الجزائر عرفت نسقا متتاليا من التغيرات مع دخول الجزائر مرحلة التعددية السياسية ومرورا بعشرية دموية لازالت أثارها قائمة إلي اليوم في جو عالمي تميز بتغير في طبيعة العلاقات الدولية القائمة على أنموج الولايات المتحدة الأمريكية في ظل إفرازات العولمة بجميع مستوياتها الاقتصادية والثقافية وغيرها وتغير مفاهيم ومضامين العديد من المسالمات التي كانت قائمة أثناء الحرب الباردة التي عرفت تحولا كليا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 هذا كله في إطار انكماش عاملي الزمان والمكان بفعل التطور التكنولوجي الحاصل وكذا في عالم المواصلات والاتصالات جعل من حدود انكشافية الدول كبير وأصبح أي شخص يتأثر في العالم مهما كان موقع سواء في إفريقيا أو في آسيا أو غيرها من نقاط العالم.

هذا كله يدفع إلي التمعن في نقاط عديدة من بينها دور المدارس الصوفية إلي جانب المؤسسات الرسمية والدينية في الجزائر إلي مواجهة التحديات التي يعرفها المجتمع الجزائري من ظواهر جديدة كالهجرة السرية والآفات الاجتماعية والتحولات في مظاهر الإرهاب الآن وغيرها من الأشياء التي كانت غريبة عنا ولهذا نجد انه لابد من طرح تصورات جديدة في إطار عام وشامل لا تحيد عنه المدارس الصوفية بل ويجب أن يكون لها الأثر الأهم والبارز من خلال أنها تتعامل مع تنشئة أجيال وتخاطب الكبار بوسائل لها الأثر اكبر من المؤسسات الاخري.

ولهذا ما يدفعنا لطرح الإشكالية التالية:

ما هي أهم المقاربات الجديدة في بناء تصور واضح وشامل للتنمية الاقتصادية للمدارس الصوفية في الجزائر؟

و يمكن أن نطرح جملة من التساؤلات:

1- ما هي أبعاد دور المدارس الصوفية في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر؟

2- ما هي العلاقة بين الصوفية وبناء إستراتيجية شاملة للجزائر؟

3- ما هو دور الصوفية في الحفاظ على الهوية الوطنية؟

من خلال هذه التساؤلات التي ارمي من خلالها إلى التركيز على العناصر التالية:

ا-توضيح أهمية المدارس الصوفية في تحقيق التمنية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر من خلال إبراز مدي إلزامية تفعيل دورها بالشكل الذي يليق بالتحديات المطروحة في الوقت الراهن والتي لها الأثر على الصعيد الداخلي الجزائري والخارجي منها الهجرة السرية التي يعرفها المجتمع الجزائري والظواهر الاجتماعية السيئة التي يعرفها المجتمع الجزائري كالسرقة والمخدرات والاعتداء على الغير هذا من جهة ومن جهة أخري مشكلة الإرهاب وظاهرة العمليات الانتحارية.

ب- من جهة أخري إبراز مدي أهمية هذه المدارس في وضعها داخل تصور شامل لتحقيق المصالح الوطنية على الصعيد الخارجي ودعم الأمن الداخلي في إطار السياسية الخارجية للجزائر وهذا ما يؤدي إلي اعتماد إستراتيجية شاملة بكل عناصرها أمنية اقتصادية واجتماعية .

1- الصوفية والتحديات الاجتماعية ( التنمية البشرية)

2- الصوفية والتحديات الاقتصادية ( البدائل التنموية)

3- الصوفية والهوية الوطنية

4- الخاتمة

1-الصوفية والتحديات الاجتماعية ( التنمية البشرية):

تعتبر أهم التهديدات التي تواجه المجتمع الجزائري هي التحديات الاجتماعية وما تفرضه من تغيرات تعود إلي إفرازات الفترات السابقة التي عاشتها الجزائر وكذا الإفرازات الخارجية المفروضة بحكم العولمة وزيادة وسائل الاتصال وقبل الحديث عن الدور الذي يجب ان تلعبه المدارس الصوفية لابد من تحديد أهم هذه التحديات:

1- من بين أهم التحديات في نسقها التهديدي للمجتمع نجد الآفات الاجتماعية التي نتجت عن مخلفات العشرية السوداء في الجزائر كالبطالة والتفكك الأسري وازدياد معدلات الجريمة خاصة الاعتداء على ممتلكات الغير والاعتداء الأشخاص وليس هذا بل كذلك على الأصول وهذه من بين الظواهر الغريبة عن المجتمع الجزائري تحتم مراجعة دور المدارس الصوفية فيها.

2- الهجرة السرية التي أصبحت كذلك من بين أهم التحديات التي تواجه المجتمع الجزائري فهي تفقد بذلك أهم عنصر فيها وهي الشباب العجلة المحركة للتنمية في المجتمع.

3- الإرهاب وهنا أتكلم عن المظاهر التي أصبح يكتسيها الإرهاب في الجزائر والدخول إلي منعرج جديد وهو العمليات الانتحارية مما يبرز التحول الكبير في نهج الجماعات الإرهابية وبالتالي الخطاب الديني الموازي للخطاب الديني الرسمي في الجزائر مما يعطي مؤشر على تغير الولاءات في داخل الدولة[1].

4- أهم التحديات التي تواجه المجتمع الجزائري نجد ظاهرة التنصير والتي تعتبر من بين أهم المخاطر التي يجب دراستها والتمعن في

[1] - مصطفي بخوش ، تراجع الدولة الأمة ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 14 ، جامعة بسكرة ، جوان 2008 ص 96

حيثياتها وهنا نجد أهمية المدارس الصوفية من خلال المكانة التي تكتسيها لدي الكبير والخاص.

5- ظواهر عديدة كالمخدرات والأمهات العازبات والأطفال غير الشرعيين وأطفال الشوارع هذه الأخيرة التي تعتبر ظاهرة خطيرة وقنبلة موقوتة داخل المجتمع الجزائر ستمتد أثارها على مر الأجيال القادمة.

وهنا لا يسعني ذكر كل هذه التحديات بقدر ما أردت التركيز على جملة من أهم التحديات التي تهدد استقرار المجتمع الجزائري وكذا امن وسلامة الدولة الجزائرية، وإنما أردت الإشارة بل والتركيز على أهمية الدور الذي ينتظر المدارس الصوفية في مواجهة هذه المخاطر من خلال لعب الدور الذي يجب أن تقوم به.

وسنركز على جملة من العناصر الأساسية لبناء إستراتيجية خاصة والتي تعتمد على ما يلي:

1- أهم شئ هي التنمية نعم التنمية لان الهدف من التنمية هو خلق استقرار على جميع الأصعدة لكل فئات المجتمع فكما تم اعتماد تعريف التنمية في الأمم المتحدة سنة 1986 والذي ضم التعريف التالي: هي عملية متكاملة ذات أبعاد (متغيرات) تهدف إلي التحسين المتواصل لرفاهة كل السكان، والمقصود هنا بالمتغيرات هي المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والإستراتيجية[1].

2- ولهذا لابد أن تقوم المدارس الصوفية بما يجب من خلال التنشئة الاجتماعية للأفراد وهنا نتكلم عن الأطفال حيث تعتمد على غرس القيم الوطنية والدينية وتحصينهم ضد الأفكار المشبوهة .

[1] سعود صالح ، " إشكالية التنمية في ظل الظواهر الكلانية" ، محاضرة ألقيت على طلبة ماجيستر علوم سياسية ، جامعة بسكرة ، مارس 2008 .

3- كذلك أن تقوم بتوسيع نشاطها التوعوي والإرشادي واخذ مبادرة الزمام في الواقع من خلال تنظيم ملتقيات وندوات ومحاضرات موجهة خاصة لفئة الشباب من اجل تصحيح العديد من المفاهيم وبناء تصور وطني حول مقاومتنا .

4- التوجه إلي الشباب الذي هو عرضت لكل مظاهر التأثير من الخارج من خلال تقديم حلول عملية كمساهمة في تزويج الشباب ومساعدتهم، تنظيم دورات تكوينية للشباب من خلال تقديم كل التوجيهات اللازمة في شتي الميادين سواء الثقافية أو الاجتماعية أو العلمية كالمخدرات والآفات الاجتماعية.

5- عمل المدارس الصوفية على استثمار الجانب الإعلامي في تقديم المحتوي السليم لهذه المدارس الصوفية لتصحيح الفكرة الخاطئة في أن المدارس الصوفية ما هي إلا طرق للشعوذة.

6- محاولة الوصول إلي فئات أخري من المجتمع وهي الفئات الموجودة داخل المؤسسات العقابية فهي الأكثر استقبالا ولها القابلية للاستماع وبالتالي كسب فئة من المجتمع في أداء دور فعال فيه.

7-محاولة بناء مؤسسات مهيكلة تقوم على نظام وقواعد منظمة تضم فروع تهتم بكل شؤون المجتمع كالأسرة والشباب والقضايا المختلفة للمجتمع.

هذه أهم الآليات التي يجب تعتمد عليها المدارس الصوفية في بناء قاعدة عمل تنطلق منها ليس فقط على الصعيد الداخلي بل حتى الخارجي حيث يجب أن تمتد هذه الأنشطة إلي كافة الدول التي فيها أتباع هذه الطرق الصوفية وبالتالي تصل إلي تحقيق الغاية وهي الوصول إلي وضع المنطلق الرئيسي للتنمية وهي سلامة التنشئة الاجتماعية وبالتالي المساهمة في خلق إطار وهيكل بشري سليم يعمل على السيرورة في إطار تكاملي للبرامج التكوينية

والتنموية للفواعل الاخري داخل النظام السياسي سواء كان رسمي أو غير رسمي .

و بالتالي نذهب إلي مرحلة أخري وهي الفرد أو الإنسان الذي يعتبر المحور المحرك لأي تنمية في أي نظام أو دولة وبالتالي تحقيق تنمية مستدامة التي في جوهرها الإنسان الصالح الذي يقوم من خلالها على المحافظة على حقوق الأجيال القادمة.

2-الصوفية والتحديات الاقتصادية ( البدائل التنموية):

من خلال العنصر السابق يتضح لنا مدي أهمية العنصر البشري في إطاره التنموي للتحقيق التنمية الاقتصادية والدائمة للمجتمع ككل وهنا لا أريد أن أتحدث عن التحديات بقدر ما أريد التركيز على ما تقدمه هذه المدارس الصوفية من بدائل لتغير الواقع بشكل أفضل وخلق ديناميكية جديدة وفق مقاربة حديثة بعيدة عن الصورة النمطية للمدارس الصوفية على أنها مكان للصلاة والعبادة والتصوف وفقط، بل لابد من التحول العملي وتطبيق روح الدين الإسلامي الذي يكرس العمل في إطار العبادة .

ويمكن حصر البدائل الاقتصادية في العناصر التالية:

أ- تشجيع الحركة التنموية للشباب من خلال التركيز على مكانة هذه المدارس الصوفية لدي العام والخاص بحيث تقوم بإنشاء صناديق مالية لجمع التبرعات والهبات من خلال وضع إستراتجية واضحة المعالم من خلال تقديم مشاريع مصغرة مدروسة للشباب في المناطق التي تعرف جيوب فقر والمعرضة إلي الهجرة السرية وليس هذا وحسب بل كذلك متابعة هذه المشاريع ومدي نجاعها ومردوديتها، من هنا نستشف أهمية الدور الذي تلعبه في تحريك التنمية الاقتصادية على الصعيد المحلي وهذا سيكون له الأثر في خلق استقرار داخل المجتمع.

ب- العمل بلورة إستراتيجية اقتصادية من خلال تقديم كذلك المساعدات المالية في شكل هبات قروض بدون فوائد للأتباع في كل مناطق العالم بحيث تخلق ديناميكية عملية مع الأطراف الخارجية.

ج- القيام بالتنسيق مع المؤسسات المالية والبنكية في الداخل والخارج خاصة مع الدول الإسلامية للاستفادة من أموال تقوم باستثمارها في الداخل من طرف الشباب في تجسيد مشاريع اقتصادية

د- القيام بالتنسيق كذلك مع المؤسسات الاقتصادية الوطنية من خلال خلق برامج ذات طبيعة اقتصادية واجتماعية يستفيد منها الشباب وحتى المؤسسات في بناء حركية اقتصادية واجتماعية متكاملة.

من خلال ما سبق نلاحظ أن مجال نشاط هذه المدارس الصوفية لا يعتمد على النشاط الاقتصادي الربحي بل يركز على تقديم العون والمساعدة والتوجيه لكافة أفراد المجتمع وتحقيق اكبر قدر من الفائدة من خلال استغلال مكانة هذه المدارس لدي أتباعها وكذا لدي عموم الناس ومختلف قطاعات المجتمع من خلال مقاربات جديدة بعيدا على الصور النمطية لهذه المدارس الصوفية ضمن مقاربات حديثة.

3- الصوفية والهوية الوطنية:

ربما أردت التركيز على هذا العنصر ضمن المقاربات الحديثة للتنمية لان احد أهم الإشكالات المطروحة الآن هي إشكالية التنمية في حد ذاتها خاصة في ظل الظواهر الكلانية التي أصبحت تتخطي حدود الزمان والمكان وتهدد كيان الدولة والأمة بل أصبحت مرادفا للتغيرات أو المسلمات التي كانت قائمة قبل أحداث 11 سبتمبر 2001 كالسيادة والحدود الإقليمية[1] .

1-ghassan salama , les appels d'empire , paris: atrhene fayred , novembre 2001 , p 55

ازدياد دراجات الانكشافية[1] داخل المجتمعات بفعل عوامل التطور التكنولوجي والتسارع الكبير في مجال المعلوماتية ووسائل المواصلات جعل أي فرد يتأثر بما هو موجود في الضفة الاخري التي ولدت لدينا مصطلح أخر وهو التثاقف حيث أصبح الفرد هو الذي يذهب للأخر من اجل أن يكون جزء منه ومن ثقافته متخليا على هويته.

وهذا اكبر خطر يهدد المجتمعات خاصة التي تعرف تنوعا في تركيبتها البشرية والعرقية والاثنية والجزائر فيها ميزت التنوع الذي أصبح عنصر هش إذا غابت فيه الروح الوطنية والمعالم التكاملية فيه.

من جهة أخري نجد إن أهم عنصر يهدد المجتمع الجزائري وهو موجة التنصير والتشيع حيث نجد أن التنصير الذي أصبح ظاهر قائمة بحد ذاتها تهدد سلامة المجتمع ويخلق انكسارات عديدة داخل الكتلة الواحدة وبالتالي يكسر أهم عنصر من عناصر الهوية الوطنية.

لهذا لا بد أن تقوم المدارس الصوفية بدورها في هذا الجانب بالذات لان الهوية تعتبر متغير تابعا للتنمية لأنه لا استقرار لا تنمية وكذلك لا هوية لا ولاء وبالتالي لا ولاء لا امن ولا استقرار ونعود إلي النقطة الأساسية أي ترابط التنمية بالاستقرار والهوية.

المدارس الصوفية هنا يجب أن تضع في حسبانها على أن مسالة الحفاظ على الهوية الوطنية من أهم العناصر الأساسية في نشاطها بل هو واجبها الأول الذي يجب أن تقوم به في الدفاع عن الدين الإسلامي واللغة العربية واللغة الامازيغية وترسيخ حب الوطن والولاء للوطن بالدرجة الأولي والعمل على تطويره وتنميته لا تدميره وتخريبه.

[1] امحند برقوق ، منطق الامننة ، محاضرة ألقيت على طلبة ماجيستر علوم سياسية ، جامعة بسكرة ، جوان 2008

بالإضافة إلي نقطة مهمة وهي ضمن مكونات الهوية وهي مواجهة التيارات التكفيرية الإرهابية من خلال العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة وترسيخ روح الإسلام الصحيحة والتي لها أساس من الكتاب والسنة وبالتالي خلق مرجعية موحدة أو على الأقل مرجعية مشتركة تعود إليها الأمة في مثل هذه المواقف.

ومن هنا نستشف أهمية الدور الذي تلعبه هذه المدارس الصوفية في بناء اطر سليمة وقوية تحافظ بها على مكونات الأمة والمجتمع الجزائري ضمن خطاب تجديدي يتماشي مع تفكير الشباب ومستوي التحولات التي يعرفها المجتمع والعالم ككل.

**الخاتمة**

من خلال ما سبق أردت التطرق إلي المقاربات الجديدة التي يجب أن تتبنها المدارس الصوفية في بناء دور قوي وفعال في المجال في مجال التنمية الاقتصادية والتنشئة والاجتماعية والحفاظ على الهوية الوطنية في إطار مواكبة روح العصر وإفرازات العولمة ومواجهة محاولات تنميط حياة الإنسان ليس فقط علي الصعيد الوطني بل على العالم ككل في إطار موجة التحول الديمقراطي التي في انتشار مستمر وازدياد دراجات التواصل بين الأفراد والدول في العالم متخطية المؤسسات الرسمية للدولة ولهذا لا بد من اعتماد منهجية جديدة تنشط من خلالها وأكيد ستحصد نتائج طيبة.

**قائمة المراجع:**

1- باللغة العربية:

1-امحند برقوق، منطق الامننة، محاضرة ألقيت على طلبة ماجيستر علوم سياسية، جامعة بسكرة، جوان 2008.

2- سعود صالح، " إشكالية التنمية في ظل الظواهر الكلانية"، محاضرة ألقيت على طلبة ماجيستر علوم سياسية، جامعة بسكرة، مارس 2008
3- مصطفي بخوش، تراجع الدولة الأمة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 14، جامعة بسكرة جوان 2004

2- باللغة الفرنسية:

1- ghassan salama , les appels d'empire , paris: atrhene fayred , novembre 2001